يا لكِ رَكْضَةٌ إِلى الفِرْدَوْس الأعْلَى

دع المصوغات من ماء وطين واشـغـل هـواك بحورٍ عين

● إن اشتاقت نفسك إلى دارك التى طردت منها فعرّج بوادى المتهجدين فهناك تمر القافلة .

● اعلم يا أخى أن قيام الليل من موجبات الجنة قال الله تعالى : ﴿ **إن المتقين فى جنات وعيون ، آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾ فوصفهم بالتيقظ والاستغفار بالأسحار .

● كان بعض السلف نائماً فأتاه آت فى منامه فقال له : « قم فصلّ ، أما علمت أن مفاتيح الجنة مع أصحاب الليل هم خزّانها » .

● ويوجب قيام الليل أيضًا نعيم الجنة ممّا لم يطّلع عليه العباد فى الدنيا . وفى الصحيح عن رسول الله ﷺ « **أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر** » ثم قرأ هذه الآية ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ... إلى قوله **بما كانوا يعملون** ﴾ .

● ولقد مرّ قول ابن عباس : الأمر فى هذا أجل وأعظم من أن يعرف تفسيره ، فليراجع .

● قال ابن القيم رحمه الله :

« تأمّل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذى أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس ، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم ، حين يقوموا إلى صلاة الليل بقرة الأعين فى الجنة »[1] .

فإن نال المتهجدون أعالى الجنان والجنة هى الجنة حسناً وجمالاً « ولقاب قوس أحدكم فى الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب »[2] ـ بصبر على الليل وقيامه ، فما أهون ما بذلوا فى عظيم ما نالوا .

---

(١) حادى الأرواح إلى بلاذ الأفراح لابن القيم الباب الرابع والستون ص ٢٧٠ طبعة المدنى .
(٢)جزء من حديث أبى هريرة وهو متفق عليه .

● **وقيام الليل من مكفرات الذنوب تحط به الخطايا كما مرّ بك فى حديث مغاذ** « وصلاة الرجل فى جوف الليل ... » الحديث .

المتهجدون والحور العين :

● **ولما كان الجزاء من جنس العمل ، فما يجزى به الله المتهجدين فى الليل كثرة** الأزواج من الحور العين فى الجنة ، **فإن المتهجد قد ترك لذة النوم بالليل ، ولذة** التمتع بالأزواج ، ترك لحافه وفراشه طلبًا لما عند الله عز وجل ، **فعوّضه الله خيراً** مما تركه ، وكان الجزاء الحور العين ، ويا نعم الجزاء . **يقول** ﷺ « **ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ، ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها** »، إذا كان النصيف خير من الدنيا وما فيها فما بالك بربة النصيف وصاحبة الخمار ! !

يا خاطب الحور الحسان وطالباً لوصـــــالهن بجنـــــة الحيوان
لوكنت تدرى من خطبت ومن طلبت جعلت السعى منك لها على الأجفان[1]

أو كنت تدرى أين مسكنها بذلت ما تحوى من الأزمان

ويقول :

فصم يومك الأدنى لعلك فى غد تفوز بعيد الفطر والناس صوم

كان بعض السلف يحيى الليل صلاة فتكاسل عن ذلك فأتاه آت فى منامه فقال له : قد كنت يا فلان تدأب فى الخطبة فما الذى قصر بك عن ذلك ؟ قال : وما ذلك ؟ قال : كنت تقوم من الليل ، أوما علمت أن المتهجد إذا قام إلى التهجد قالت الملائكة : قد قام الخاطب إلى خطيبته .[2]

● **فاخطب الحوراء من سيدها ومولاها وقدّم مهرها وهو طول التهجد ما دمت ذا إمكان :**

أتلهو بالكرى عن طيب عيش الخيرات فى غرف الجنان

---

(١) شرح القصيدة النونيه للهراس .

(٢) اختيار الأولى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى لابن رجب .

تعيش مخلداً لا موت فيه وتنعم فى الجنان مع الحسان
تيقظ من منامك إن خيراً من النوم التهجد بالقرآن

ويقول الشاعر :

تيقظ لساعات من الليل يا فتى لعلك تحظى فى الجنان بحورها
فتنعم فى دار يدوم نعيمها محمد فيها والخليل يزورها
فقم فتيقظ ساعة بعد ساعة عساك توفى ما بقى من مهورها

● أخرج الإمام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « إن فى الجنة حوراء يقال لها العيناء إذا مشت مشى حولها سبعون ألف وصيف عن يمينها وعن يسارها كذلك ، وهى تقول : أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر » .

● وقال عطاء السلمى لمالك بن دينار : يا أبا يحيى شوّقنا ـ قال : يا عطاء : إن فى الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها ، لولا أن الله تعالى كتب على أهل الجنة ألا يموتوا لماتوا من حسنها . فلم يزل عطاء كمدًا من قول مالك .

● عن يزيد الرقاشى قال : بلغنى أن نوراً سطع فى الجنة لم يبق موضع فى الجنة إلا دخل من ذلك النور فيه ، فقيل ما هذا ؟ قال : حوراء ضحكت فى وجه زوجها قال صالح المرى : فشهق رجل من ناحية المسجد فلم يزل يشهق حتى مات .

ولقد رُوِّينا أن برقاً ساطعاً يبدو فيسأل عنه مَنْ بجنان
فيقال : هذا ضوء ثغر ضاحك فى الجنة العليا كما تريان

● وعن كُثير بن مُرَّة : إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول : ماذا تريدون أن أمطركم ، فلا يتمنون شيئاً إلا أُمطروا ـ قال : يقول كثير : لئن أشهدنى الله ذلك لأقولنّ أمطرينا جوارى مزينات .

يا لله من سحاب يتكلم ويمطر حورًا عيناً ، أفق إن كان بك شوق إلى

العيناء ، أما تسمع دعاء الحور وهن فى لهف وشوق تدعو الواحدة منهن لك قبل وصولك إليها وأنت بعد فى دار الدنيا « اللهم أعنه على دينك ، وأقبل بقلبه على طاعتك ، وبَلِّغه بعزتك يا أرحم الراحمين » أما يرن فى سمعك هذا .

● قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبى الحوارى :

« بينما أنا ساجد إذ ذهب بى النوم فإذا أنا بالحوراء ، قد ركضتنى برجلها فقالت : يا حبيبى أترقد عيناك والمَلك يقظان ينظر إلى المتهجدين فى تهجدهم ؟ بؤساً لعين آثرت لذة نوم على مناجاة العزيز ، قم فقد دنا الفراغ ، ولقى المحبون بعضهم بعضاً . فما هذا الرقاد ؟ حبيبى وقرة عينى . أترقد عيناك وأنا أربى لك فى الخدور منذ كذا وكذا ؟ فوثبت فزعاً وقد عرِقت استحياء من توبيخها إياىّ ، وإن حلاوة منطقها لفى سمعى وقلبى » ا . هـ[1]

أتطلب مثلى وعنّى تنام ؟ ونوم المحبين عـنّـا حـرام
لأنـا خـلـقـنا لـكـل امرئ كـثير الصلاة بـراه الـقـيـام

● وها هو عبد الواحد بن زيد : ينام عن ورده فإذا هو بجارية لم ير أحسن منها وجهًا عليها ثياب حرير خضر .

وهى تقول : يا ابن زيد جدّ فى طلبى ، فإنى فى طلبك ، ثم جعلت تقول :

من يشترينى ومن يكن سكنى يـأمـن فى ربحه من الـغبن

فقلت : يا جارية ما ثمنك ؟ فأنشأت تقول :

تـودّدُ لله مـــع محبـتـــه وطول فـكـر يشاب بـالحزن

فقلت : لمن أنت يا جارية فقالت :

لمالك لا يـــردُّ لى ثمنـًا من خاطب قد أتاه بالثمن[2]

---

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٢٥ .

(٢) صفة الصفوة ج ٣ ص ٣٢٤ .

ويوم القيامة إذا جمع الله الأولين والآخرين سيعلم الجمع مَنْ أولى بالكرم ؟ ومن أحق بالحور الخيرات الحسان ؟

لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحاً ، ولتزخرف لها ما بين الخافقين ، ولو تكلمت لأنطقت أهل الأرض ثناء وتسبيحاً فكيف تغفل عنها ، مَثِّلْ بفكرك أين تعيش ؟ وما تأكل وما تشرب ؟ ومَنْ هُنّ .

برانا إله الناس رب محمد لقوم على الأقدام بالليل قوّم
يناجون رب العالمين إلههم فتسرى هموم القوم والناس نُوّم

وما أكثر حديث الحور مناماً للمتهجدين .

فيا أسير شهوات الدنيا ، ويا صاحب الطرف المُعذَّب الذى ينطلق وراء كل غانية وتحتها الداء العضال .

دع المصوغات من ماء وطين واشغل هواك بحور عين

يمم وجهك يا صاح مثلما يمم المتهجدون ، إلى خيام تبدو فيها عرائس الجنان يبتسمن لك :

• قيام الليل يا أخى يورث أعالى الدرجات كما جاء فى حديث اختصام الملأ الأعلى « وما الدرجات ؟ إطعام الطعام ، وطيب الكلام وأن تقوم بالليل والناس نيام » . وقال تعالى : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ .

• وقيام الليل يورث سكنى غرف يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها كما فى الحديث الذى مرّ سابقاً ، قال ابن قيم الجوزية :

غرفاتها فى الجو ينظر بطنها من ظهرها والظهر من بطنان
سكانها أهل القيام مع الصيام وطيب الكلمات والإحسان

ثنتان خالص حقه سبحانه وعبيده أيضًا لهم ثنتان (١)

فأعمل لخيام فى الجنة رآها أحد سلفنا فى منامه فقيل له : هذه خيام المتهجدين بالقرآن .

وخيامها منصوبة برياضها وشواطىء الأنهار ذى الجريان

لله هاتيك الخيام فكم بها للقلب من علق ومن أشجان

وفوق هذا كله رضوان من الله أكبر .. رؤية الأوجه الساهرة الوجوة الناضرة لربها ومولاها فى الآخرة ونعيم أعلى وأجَلّ من هذا ـ رؤية وجه الله تبارك وتعالى .

[وهذا أشرف الأبواب وأجلها قدراً وأعلاها خطراً وأقرها لعيون أهل السنة والجماعة ، وأشدها على أهل البدعة والضلالة ، وهى الغاية التى شمر إليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون وتسابق إليها المتسابقون ، ولمثلها فليعمل العاملون ، إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم ، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم ، اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون ، وأئمة الإسلام على تتابع القرون ، أنكرها أهل البدع المارقون ، والجهمية المتهوكون ، والفرعونية المعطلون ، والباطنية الذين هم من جميع الإسلام منسلخون ، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون ، ومن حبل الله منقطعون ، وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون . وللسنة وأهلها محاربون ، وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون] (٢) .

قال تعالى : ﴿ **تحيتهم يوم يلقونه سلام** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ، أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون** ﴾ (٣)

---

(١) شرح النونة لابن القيم ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ شرح الهراس مطبعة الفاروق الحديثة للطباعة والنشر .

(٢) حادى الأرواح ص ٢٨٥ .

(٣) يونس الآيتان ٢٥ ، ٢٦ .

وقال تعالى : ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾ وقال تعالى : ﴿**لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد**﴾ .

وقال تعالى : ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ . ناضرة من البهاء والحسن ومن قيام الليل والسهر فى الدنيا ، من النعيم إلى ربها ناظرة .

فعن أبى سعيد الخدرىّ وأبى هريرة « أنّ أناساً قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله ﷺ : « **هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر** ؟ قالوا : لا يارسول الله ؟ قال : « **هل تضارون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب** ؟ قالوا : لا ، قال : **فإنكم ترونه كذلك** . . » الحديث[١] .

● وعن جرير بن عبد الله قال : « كنا جلوساً مع النبى ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال : « **إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا ، لا تضامون فى رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا** » ثم قرأ قوله : ﴿**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب**﴾[٢] » .

.. قال عمر : ألا تسمع ابن أم عبد ياكعب عن أدنى أهل الجنة منزلاً فكيف أعلاهم ؟ قال كعب : يا أمير المؤمنين : فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت إن الله عز وجل جعل داراً فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة ، ثم قرأ كعب : ﴿**فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون**﴾ قال : وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه ثم قال : منْ كان كتابه فى عليين نزل تلك الدار التى لم يرها أحد حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير فى ملكه فلا تبقى خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه ،

---

(١) رواه الشيخان .

(٢) رواه الشيخان .

فيستبشرون بريحه فيقولون : واها لهذا الريح هذا رجل من أهل عليين قد خرج يسير فى ملكه ... »[1] .

ومن قول عمر بن عبد العزيز « بتقوى الله نجا أولياء الله مِنْ سخطه ، وبها رافقوا أنبياءه ، وبها نضرت وجوههم . ونظروا إلى خالقهم » .

وقال الحسن : لو علم العابدون فى الدنيا أنهم لا يرون ربهم فى الجنة لذابت أنفسهم فى الدنيا . وقال الأعمش وسعيد بن جبير : إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى الله تبارك وتعالى . وقال كعب : ما نظر الله سبحانه إلى الجنة قط إلا قال : طيبي لأهلها فزادت ضعفاً على ماكانت حتى يأتيها أهلها . وما من يوم كان لهم عيد فى الدنيا إلا ويخرجون فى مقداره فى رياض الجنة فيبرز لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه ، وتسفى عليهم الريح المسك ، ولا يسألون الرب تعالى شيئاً إلا أعطاهم حتى يرجعوا ، وقد ازدادوا على ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفاً ، ثم يرجعوا إلى أزواجهم وقد ازددن مثل ذلك .

وقال هشام بن حسان : إن الله سبحانه وتعالى يتجلى لأهل الجنة ، فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة .

● وفى قوله عن الجهمية قال عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون « لم يزل يملى لهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ فقالوا لا يراه أحد يوم القيامة فجحدوا ، والله أفضل كرامة الله التى أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونضرته إياهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر . فورب السماء والأرض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثواباً لينضر بها وجوههم دون المجرمين ، وتفلح بها حجتهم على الجاحدين وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ، لا يرونه كما زعموا أنه لا يرى ، ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم وهم

(١) حادى ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ قال ابن القيم : حسن رواه المصنفون فى السنة كعبد الله بن أحمد والطبرانى والدارقطنى فى كتاب الرؤية .

عذاب أليم » . وقال الأوزاعى : إنى لأرجو أن يحجب الله عز وجل جهمًا وأصحابه عن أفضل ثوابه الذى وعده الله أولياءه حين يقول : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذى وعده الله أولياءه . وقال ابن حنبل « ينظر إليهم وينظرون إليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاؤوا إذا شاؤوا » . أعلى النعيم نعيم رؤية وجهه .. يعطيه لأهل الجنة ولأعلى أهل الجنة منزلة وأهل عليين من المتهجدين الركع السجود[1] .

(١) سنفرد للجنة كتابا اسمه « شذا الريحان فى ذكر جنة الرحمن » إن شاء الله ومدّ فى العمر .

فــــوائد

الفائدة الأولى :

قال عبد الله بن مسعود : « فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية » .

قال الحافظ ابن رجب فى « لطائف المعارف » :

[« قال عمرو بن العاص : ركعة بالليل خير من عشر بالنهار » **وإنما فضلت** صلاة الليل على صلاة النهار :

● **لأنها أبلغ فى الإسرار وأقرب إلى الإخلاص . وكان السلف يجتهدون على إخفاء تهجدهم . قال الحسن : كان الرجل يكون عنده زواره فيقوم من الليل يصلى لا يعلم به زوّاره ، وكانوا يجتهدون فى الدعاء ولا يسمع لهم صوت ، وكان الرجل ينام مع امرأته على وسادة فيبكى طول ليلته وهى لا تشعر ، وكان** محمد بن واسع يصلى فى طريق الحج طول ليله ويأمر حاديه أن يرفع صوته ليشغل الناس عنه .

● ● **ولأن صلاة الليل أشق على النفوس فإن الليل محل النوم والراحة من** التعب بالنهار ، فترك النوم مع **ميل النفس إليه مجاهدة عظيمة ، قال عمر : أفضل الأعمال ما أكرهت** عليه النفوس .

● ● **ولأن القراءة فى صلاة الليل أقرب إلى التدبر فإنه تنقطع الشواغل بالليل** ويحضر القلب ، ويتواطأ هو **واللسان على الفهم كما قال تعالى : ﴿ إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا ﴾** ولهذا المعنى أمر بترتيل القرآن فى قيام الليل ترتيلاً ، ولهذا كانت صلاة الليل تنهاه عن الإثم . أما تسمع عن رجل يقوم الليل ويسرق فيقول الرسول ﷺ « **سينهاه ما تقول** » .

● ● **ولأن وقت التهجد من الليل أفضل أوقات التطوع بالصلاة ، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو وقت فتح أبواب السماء ، واستجابة الدعاء ، واستعراض حوائج المسلمين ، ووقت التنزل الإلهى .**

الفائدة الثانية :

قالت عائشة لرجل : لا تدع قيام الليل فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه ، وكان إذا مرض ـ أو قالت ـ كسل صلى قاعداً . وفى رواية أخرى : بلغنى عن قوم يقولون : إنْ أدينا الفرائض لم نبال أن لا نزداد ، ولعمرى لا يسألهم الله إلا عما افترض عليهم ، ولكنهم قوم يخطئون بالليل والنهار ، وما أنتم إلا من نبيكم ، وما نبيكم إلا منكم ، والله ما ترك رسول الله ﷺ قيام الليل ونزعت كل آية فيها قيام الليل .

فأشارت عائشة رضى الله عنها إلى أن قيام الليل فيه فائدتان عظيمتان :

(ا) الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ والتأسى به ، وقد قال الله عز وجل ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة** ﴾ .

(ب) وتكفير الذنوب والخطايا فإن بنى آدم يخطئون بالليل والنهار فيحتاجون إلى الاستكثار من مكفرات الخطايا ، وقيام الليل من أعظم المكفّرات .

فائدة فى أسرار الأوقات :

قال الشيخ شاه ولى الله الدهلوى فى كتابه «حجة الله البالغة» .

(١) «من ضروريات الدين أن هناك أوقاتاً يحدث فيها شىء من انتشار الروحانيات فى الأرض وسريان قوة مثالية فيها ، وليس وقت أقرب لقبول الطاعة واستجابة الدعوات من تلك الأوقات ، فنى أدنى سعى حينئذ ينفتح باب عظيم من انقياد البهيمية للملكية» . ثم ضرب مثالاً لهذا بالوقت من نصف الليل إلى السحر ، ثم قال : «فنى تلك الأوقات وقبلها بقليل وبعدها بقليل تنتشر الروحانية وتظهر البركة ، وليست البركة ، وليست فى الأرض ملة إلا وهى تعلم أن هذه الأوقات أقرب شىء من قبول الطاعات ، ولم يفرض الله عليهم الصلاة فى نصف الليل لما فى ذلك من الحرج ، والنصوص فى فضل هذا الوقت كثيرة ، وقد شاهدت منه أمراً عظيماً .

(ب) والأصل الثانى : أن وقت التوجه إلى الله هو وقت كون الإنسان خالياً عن التشويشات الطبيعية كالجوع المفرط ، والشبع المفرط ، وغلبة النعاس وظهور الكلال ، والخيالية : كامتلاء السمع بالأراجيف واللغط ، والبصر بالصور المختلفة والألوان المشوشة ، ونحو ذلك من أنواع التشويشات ، وذلك مختلف باختلاف العادات ، لكن الذى يشبه أن يكون كالمذهب الطبيعى لعربهم وعجمهم ومشارقتهم ومغاربتهم ، والذى يليق أن يتخذ دستوراً فى النواميس الكلية والذى يعد مخالفة كالشىء النادر هو الغدوة والدلجة . والإنسان يحتاج إلى مصقلة تزيل عنه الرين بعد تمكنه من نفسه ، وذلك إذا أوى إلى فراشه ومال للنوم ، ولذلك نهى النبى ﷺ عن السمر بعد العشاء .

وسياسة الأمة لا تتم إلا بأن يؤمر بتعهد النفس بعد كل برهة من الزمان حتى يكون انتظاره للصلاة واستعداده لها من قبل أن يفعلها وبقية لونها ، وصبابة نورها بعد أن يفعلها فى حكم الصلاة فيتحقق استيعاب أكثر الأوقات إن لم يكن استيعاب كلها . وقد جربنا أن النائم على عزيمة قيام الليل لا يتغلغل فى النوم البهيمى ، وأن المتوزع خاطره على ارتفاق دنيوى مر وعلى محافظة وقت صلاة أوْ وردْ أن لا يفوته ، لا يتجرد للبهيمية ، وهذا سر قوله ﷺ : « **من تعارّ من الليل** » **الحديث وقوله تعالى** : ﴿**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله**﴾ .

(جـ) والأصل الثالث : أن وقت أداء الطاعة هو الوقت الذى يكون مذكراً لنعمة من نعم الله تعالى كرمضان الذى أنزل فيه القرآن .

وقيام الليل يذكر بالجنة حيث يقابل لها تزينى فى هذا الوقت ، ونعمة النزول الإلهى ، أو أن تكون جرت سنة الصالحين المشهود لهم بالخير على ألسن الأمم أن يطيعوا الله فيه مثل قيام وصلاة داود عليه السلام .

والأصلان الأولان أصل الأصل ، والأصل الثالث يكون معتبراً فى أكثر الأوقات والله أعلم [1] أهـ . وقال أيضاً رحمه الله : « اعلم أنه لما كان آخر الليل ــ وقت

---

(١) حجة الله البالغة لشاه ولى الله الدهلوى ج ١ ص ٩٨ ــ ١٠٠ طبعة دار التراث.

صفاء الخاطر عن الأشغال المشوشة ، وجمع القلب ، وهدوء الصوت ، ونوم الناس ، وأبعد من الرياء والسمعة ، وأفضل أوقات الطاعة ما كان فيه الفراغ وإقبال الخاطر ، وأيضًا فذلك الوقت وقت النزول الإلهى وقد ذكرناه من قبل - وأيضًا فللسهر خاصية عجيبة فى إضعاف البهيمية وهو بمنزلة الترياق ولذلك جرت عادة طوائف الناس أنهم إذا أرادوا تسخير السباع وتعليمها الصيد لم يستطيعوه إلا من قبل السهر والجوع ، ولذا كانت العناية بصلاة التهجد أكثر ، فبيّن النبى ﷺ فضائلها وضبط آدابها وأذكارها »][1] ا هـ .

فوائد أنفس من الذهب للطحان :

قال الشيخ المبارك بقية السلف أبو حمزة عبد الرحيم الطحان أستاذ التفسير والعقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فرع الجنوب فى تسجيلاته الثلاث عن قيام الليل ما مختصره :

اعلم أن شعار الصالحين فى كل حين قيام الليل ، والذى يدفع للكلام عنه أمران عظيمان جليلان .

الأمر الأول : إنى تأملت حال الأمة الإسلامية فرأيت حالتهم تقطع الأكباد وتدمى القلوب ، وإذا أراد إنسان أن يفكر فى إصلاح الأمة فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها . فرأيت أن الهداية فى أول هذا الأمر كانت فى إصلاح القلوب وربطها بعلاّم الغيوب عن طريق قيام الليل وغيره .

ومن العجيب الغريب الذى يلفت أذهان العقلاء أن الله افترض قيام الليل قبل أن تنزل الفرائض وقبل أن تشرع الحدود ، بل قبل أن تفرض الصلوات الخمس ، وهذا لأمر عظيم لأن الإنسان إذا خلا بربه جل وعلا ، واتصل قلبه بالله فى جنح الليل طهر القلب ونزلت عليه الفوائد ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** ﴾ وإذا طهر القلب فإن القلب فى حالة

---

(١) حجة الله البالغة ج ٢ ص ١٦

استعداد لتلقى كل أمر طاهر بعد ذلك ، وإذا كان القلب فيه فساد فلن يتقبل الأوامر الطاهرة إذا وجهت إليه ولذلك عندما رُبى الرعيل الأول على هذا المعنى خرجت نماذج من جيل فريد ما عرفت له البشرية نظيراً ، فقد ثبت فى مستدرك الحاكم بسند صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبى عن ابن عمر : « عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن وكانت السورة تنزل على النبى ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغى أن يوقف عندها ، ثم رأيت أناساً يتلقى أحدهم القرآنَ قبل الإيمان ، يقرأ القرآن من أوله لآخره لا يسقط منه حرفاً ولا يدرى ما أمره ولا زجره ولا ما ينبغى أن يوقف عنده .

ولذلك قال أئمتنا الكرام « من رحمة الله بالحدث وبالشاب أن يوفق فى بدايته لرجل من أهل السنة ليربط قلبه بالله جلّ وعلا وليعرفه الطريق المستقيم ثم بعد ذلك يقبل على العلوم ويأخذ منها وينهل » لابد من هذا .فى سنن ابن ماجة بسند صحيح عن جندب بن عبد الله قال : «كنا مع النبى ﷺ ونحن فتيان حزاير [1] فتعلمنا الإيمان قبل القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيماناً »

وتعلم الإيمان يكون عن طريق الخلو مع الرحمن جل وعلا فى جوف الظلام هذا هو الأمر الأول أن القلب إذا طهر واتصل بالله جل وعلا تطهر سائر الجوارح ، وقد ربىّ الله جلّ وعلا هذه الأمة على هذا المعنى ، ففى صحيح البخارى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها « أول ما أنزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل من أول الأمر : لا تزنوا لقالوا : لا ندع الزنا أبدًا ، ولو نزل من أول الأمر : لا تشربوا الخمر لقالوا : لا نترك الخمر أبدًا ، أنزل على النبى ﷺ وأنا جارية ألعب ﴿**بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر**﴾ وهى من سورة القمر ، وما نزلت البقرة والنساء إلا وأنا عنده فى المدينة » .

لو تفكر الإنسان فى شرع الرحمن ، حُرم الخمر فى العام الثانى من الهجرة بعد

(١) جمع حُزَيّر وهو الشاب الممتلىء نشاطاً وقوة وجلداً .

البعثة بواحد وعشرين سنة ، وحُرّم الغناء فى مكة عند بعثته .. سبحان الله العظيم .

فرض الله الحجاب فى العام السادس للهجرة بعد تسع عشرة سنة من بعثة النبي ﷺ .. لماذا كان يركز على القلب لأن الظاهر يُغيّر بعد هذا بإشارة فلابد من تطهير القلب وربطه بالرب . ثم عرّج على حديث أبي الدرداء الذى رواه أحمد والترمذى والحاكم وابن ماجة وصححه الحاكم ووافقه الذهبي قال قال رسول الله ﷺ « **ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم ، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟؟ ذكر الله** » . ثم يذكر أن هذا كان له مشكل فى الفهم كيف والجهاد ذروة سنام الإسلام ثم فكّ الله له ما صعب عليه . فيقول : المجاهد إذا لم يكن ذاكراً سيولى الأدبار وسيفرّ ، والمتصدق والمزكي إذا لم يكن ذاكراً لله ، فلن يزكو عمله ، وبصلاح القلوب بالذكر تكون الأعمال زكية .

- ولقد قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ابن عباس فى الصحيح عند الترمذى وأبي داود وأحمد والحاكم « **خير الصحابة أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف ولن يهزم إثنا عشر ألفاً من قلة** »[1] فمعنى هذا أن هزيمتهم إن بلغوا هذا العدد لا تكون من قلتهم ولكن من قلوبهم .. فانظركم بلغ المسلمون وتعدادهم :

والناس ألف منهم كواحد ... وواحد كالألف إن أمرعنا

فهذا طريق بناء الأمة وتربية الفرد « واحد بألف ، وألف بخُفّ .

- الأمر الثانى أن أمة نبينا ﷺ كالذهب تظهر معادن الرجال فيها حين يزال ما عليها من الشوائب وحين تشوق ويحفز الرجل منها للصالحات فهنا يظهر معدن رجالها وترى الرجل يتفاعل معك وكأنه قد أنزل عليه القرآن فى الحال وصدق رسولنا ﷺ حين يقول « **لا يزال الله يغرس فى هذا الدين غرساً يستعملهم فيه**

---

(١) صححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ٣٢٧٣.

بطاعة الله إلى يوم القيامة »[1] . وهنا تبدو قيمة قيام الليل .

• ويقول حفظه الله : ويقرر الله قيمة قيام الليل فى سبع آيات مكية وثلاث آيات مدنية .

• ويقول عن ساعة التنزل الإلهى : هل يليق بنا أن نكون فى حكم الجيف فى تلك الساعة المباركة سبحان الله كيف فرّطنا فى خيرات عظيمة .

• ويقول فيمن يضحك اللهم إليهم ، اثنان منهم أعطيا المجهود من نفسيهما تهجداً .

روى أحمد وأبو يعلى بسند رجاله ثقات عن النبى ﷺ « **إذا ضحك الله من العبد فلا حساب عليه** » .

• ثم يتكلم رحمه وحفظه الله عن الصالحين ولذتهم وسرورهم بالتهجد .

• وأن الليل ينقضى وما يشبعون نهمهم منه فيقول : « **سَنَةُ الوصال سِنَة ، كما أن سِنَةَ الهجر والجفاء سَنَة** » .

• ويقول : أحيوا قيام الليل فيكم وفى أهليكم وفى جيرانكم فوالله ما تحفظ الأمة فى هذا الوقت إلا بواسطة ثلة قليلة من المتهجدين لله فى الليل ، ولولا أهل الطاعة لهلك أهل المعصية ثم يعلل . لم كل هذا الإهتمام بالليل .

فيقول لخمسة أمور :

١ ـ إن الإنسان عندما يقوم الليل يكون هذا أخلص لربه جل وعلا لأنه يكون فى وقت سر لا يطلع عليه أحد . فعند الطبرانى فى الكبير والزهد لابن المبارك بسند حسن عن ابن مسعود « **فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدق العلانية** » وصدقة السر تفضل بسبعين ضعفاً على صدقة العلانية وهكذا صلاة الليل .

الثانى : أنه أشق على النفس ولذلك يكون الأجر أكثر .

(١) حسن : رواه ابن ماجة وأحمد عن أبى عنبة الخولانى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع ٧٥٦٩

الثالث : مع خلو البال من مشاغل الحياة وسكون الليل والفراغ من الدنيا والكد فيها يكون القلب أكثر مواطأة وموافقة للسان فى الذكر.

الرابع : أن الليل موطن لتنزل الرحمات ولنزول رب الأرض والسموات فعظمت العبادة فيه وكان لها ذلك الأثر الكبير.

الخامس : أن قيام الليل عبادة جامعة لطهارة القلب، وما يقوم الليل منافق.

ثم يعرج حفظه الله على أسباب خمسة تعين على القيام :

أولاً : أكل الحلال والابتعاد عن الحرام :

قال سهل التسترى : « من أكل الحلال أطاع الله شاء أم أَبى، ومَنْ أكل الحرام عصى الله شاء أم أبى » .

الثانى : ترك المعاصى .ويقول إن اللئيم عن المكارم يُشغَل .

الثالث : ترك الفضول فإن الفضول يقود إلى المرزول .

الرابع : القيلولة .

وآخرها : تذكر الموت عند النوم .

ويعدد فوائد القيام الخمس :

أولها : أن الإنسان إذا قام متهجداً لله جل وعلا يسهل عليه القيام يوم يقوم الناس لرب العالمين، فمن استراح وقضى أيامه فى البطالة يتعب هناك، والجزاء من جنس العمل. ومن تعب هنا، وفى هذا التعب راحته وبهجته ولذته يستريح هناك .

ثانيها : أن من يكثر القيام فى الليل إذا كان من الرجال يعوضه الله يوم القيامة كثرة الأزواج من الحور العين فالجزاء من جنس العمل.

ثالثها : صحة الجسم، وأن الرجل إذا قام من الليل كسى الله وجهه بهاء ونوراً ونضرة .

رابعها : أن الفتوحات والتوفيق وإرشاد الناس لخير الأمور هذا يكون إذا كان الإنسان قائماً بحقوق مولاه فيهديه الله لسبل الخير من حيث لا يدرى وترد الفوائد والتحف واللطائف والاستنباطات فى ظلم الليل ، وإذا خفى على الإنسان شىء إذا قام فى ظلام الليل يفتح الله عليه ويدركه .

وخامسها وأجلها وأعظمها : رؤية وجه الله فلو علم العابدون أنهم لن يـروا ربهم يوم القيامة لذابوا كما يقول الحسن. انتهى كلام الشيخ الطحان بتصرف ا هـ .

- فائدة : الصلاة أفضل من الصوم لأن الصوم من التروك كما قاله ابن حجر العسقلانى .